

ثم ماذا يا أبا عتيبة؟

— ثم أراني وإياك على راحلتين في أرض البلقاء، نقصد ذلك الدير الذي لقينا فيه ذلك الراهب ذات يوم فحدّثنا، ولكننا نجد الراهب قد مات، فنرجع محزونين وأنت تقول: قد انقطع الوحي منذ محمد، وما صدق الراهب ولا برّ، بل كذب وفجر، وإن وافقه القدر؛ ولولا غلالة نفس تستشرف إلى معرفة ما استسرّ في غدها من غيب الله؛ ما عبّرت قدمي في هذه البادية ألتمس إلى التسلية سبباً وأنشد راحة نفس.

ثم ماذا يا أبا عتيبة؟

— ثم أفقت من إغفائي فإذا أنا على هذا الطريق في ركب الحاج إلى مكة، قد شرفني مولاي بصحبته وبسط لي معروفه وبرّه.

— ذاك حقك علينا يا أبا عتيبة، ولكن ما شأن ولدك عتيبة هذا وما خبره؟ فقد شوّقتنا إليه يا صاح!

— فتى يخطو إلى الشباب، قد خلف أباه على أهله، وحفظ عنه الولاء لأمره، فهو غلامك يا مولاي وإن لم يكن له حظ الرؤية وشرف المصاحبة.

— فقد صار له علينا الحق — إذن — أن نثبته في ديوان الجند، وأن نقدّر له الأعطية، ونعفيه من عبء الجهاد، حفاظاً لعهد أبيه، واعترافاً بما أبلى في الحرب وما لا يزال يبلي ...

— بورك لك يا مولاي!

— وبورك لك يا أبا عتيبة.

— ولكن هذه الرؤية التي رأيت ...

— اكتمها يا نعمان، فلا تقصصها على أحد؛ حتى ندخل المدينة، فنلتمس ابن سيرين^٨ في مسجد رسول الله فنقصها عليه، فنسأله تعبیرها، وإني لأرجو أن تكون خيراً بشّرت به.

— وانسرح مسلمة في وادٍ سحيق، والهواجس تصطرع في رأسه، وانسرح النعمان

في وادٍ آخر ...

هذه الرؤيا التي قصّها النعمان على مسلمة لم تكن غريبة عليه؛ لقد تراءت له في إغفائه تلك القصيرة — كما تراءت لصاحبه، وكما قصّها عليه — ولو كانت أضغاث

^٨ عالم من علماء المسلمين كان له بصر بتفسير الأحلام.